المركز العربي للمعلومات

21-01-1995

شفيق عبود
لوحاتي حكايات تُروى باللون

جاك الاسود

شفيق عبود ينفي منذ البداية اي دور ايجابي للكلام في ايصال اللوحة. النظريات "تخيفه" وفي لوحاته "حكايات" لا تروى الا باللون. فما جدوى الحديث معه اذاً؟

داخل، ١٩٩٤، ٨١ × ١٠٠سم.

دون ان ندّعي مخالفة هذا الحكم، حاورنا معه، بمناسبة معرضه الاخير في غاليري جانين ربيز (ر. "الملحق،" العدد ٤٤٤)، طريقة اخرى، مثل اشعال المدفأة، لنكون "على حرارة اللوحة".

*** ما الشكل بالنسبة اليك؟ نقطة انطلاق ام نقطة وصول؟**

– لا انطلاق عندي على مستوى الشكل، بل صور لاتجاهات تتطوّر اللوحة عبرها. وتصل الاشكال عند النهاية. حين يتركّز الشكل ويتمكّن تكون قد انتهت علاقتي باللوحة. انتمي الى جماعة من الفنانين هم، مثل بونار، نصل انطباعيين. ومثلهم لا تفريق عندي بين الشكل والجو او طريقة الشغل. الكل يختلط. لا اعرف ماذا اعمل. المهم ان اعيش اللوحة. عندئذ احس باني منفصل عما يحيط بي ويدور حولي. اخاف ان ابدو كصوفيّ يغيب عن الوعي ويرى وجه الله. لكن شيئاً كهذا يحدث حين يعلق الاخذ والعطاء مع اللوحة...

*** بأي لغة يتمّ هذا التعاطي؟**

– انها لغة لا تتعلّق باللغة المنطقية التي استعملها لاحكي معك.

*** هل يمكن ان نحدّد مفرداتها او قواعدها اذا تتبّعنا بعض الاشارات التي تتكرّر من لوحة الى اخرى؟**

– قلّما اكون واعياً لمثل هذا التكرار. فكلّ شيء ينشأ من علاقتي باللوحة ذاتها. جزء من التجريد مبنيّ على نوع من لغة...

*** تقصد التجريد الهندسي؟**

– مثلاً!

*** وما دام الشكل، بالنسبة اليك، يأتي في النهاية، فاللغة اذاً تقتل؟**

– لا اقول انها تقتل بل انها غير ممكنة! كان عليّ ان اواجه ذلك حين علّمت في معهد باريسي يخرّج المهندسين. طلب مني عندئذ ان اعلّم القواعد الابتدائية. لكنها غير موجودة في المطلق، بل يمكن ان تجدها بعد فترة من الممارسة. حتى القواعد اللفوية تراها في النهاية لا في البداية. لكن هذه هي مشكلة المدارس. كيف تريد ان تعلّم؟ ومن الابتدائي مثلاً قواعد التأليف. واذا تطلعنا الى اصول التأليف الكلاسيكية، فان المتنفّخين (Les Pompiers) اقوياء جداً من الناحية التقنية ولو كان فنّهم بلا حياة! لذلك كنت آخذ الطلاب الى المتنفخين كي يتعلموا منهم اصول التأليف.

*** اخبرني بعض الفنانين اللبنانيين ممن تتلمذوا عليك في معهد الفنون ان مادة تعليمك كانت تسمى بالتكنولوجيا... فمن اين اولاً هذا الخلط بينها وبين التقنية؟ وهل يجب ان نرى في اختيارك هذا الجانب التقني موقفاً مبدئياً من تعليم الفن؟**

– كنت اعلّم فهم المواد، معرفة مميزات كل مادة ولعبها مع غيرها. هذا اساسي بالنسبة اليّ. وهذا ليس تكنولوجيا. مدير المعهد الذي علمت فيه للمرة الاولى في باريس هو الذي، حين قلت له ماذا سأعلّم، اقترح هذا العنوان "تكنولوجيا المواد التصويرية". لا اهب ان اعلّم الفنّ والا علّمت الطلاب اسلوبي. يجب الاكتفاء بتعليم التقنية ومعرفة الوسائط من فن الايقونة الى آخر التقنيات الحديثة...

*** حتى الاكريليك الذي ليس من موادك المفضلة...**

– معظم اللوحات التي تراها في هذا المعرض بُدئت بالاكريليك وانهيت بالزيت...

*** تلاميذك يتذكرون خصوصاً تعليم التقنيات القديمة، كالتمبرا بالبيض مثلاً...**

– النكتة هنا ان الصف كان ينتهي بوليمة البيض المسلوق. وكان معهد الفنون في المقر القديم لمحكمة الجنايات. كنت اعلّم حيث تقطع الرؤوس!

*** حب الحكايات ايضاً وايضاً كلّ نقادك، ولا استثني نفسي، وقعوا في هذا الفخّ.**

– هنالك دائماً حكاية وراء كل لوحة.

*** انا مهتم بالحكاية بينك وبين اللوحة...**

– سبق وقلت انها تشبه الحكي مع الذات، هذا الكلام الذي ليس على اساس منطقي.

*** ومن لوحة الى اخرى؟**

– اللوحة المنتهية لا تبقى موجودة امامي وانا اشتغل.

*** ماذا يكون امامك؟**

– اشعل مدفأة الفحم. انتظر حتى اصبر على حرارة اللوحة التي ارسمها. ان تدخل في اللوحة مصفّاً "تخربطها"!

*** ولكن، حين يتكرر تأليف معيّن في عدد من اللوحات، متى تعرف انه تكرّر؟ وماذا تكون قد وجدت او قد أوجدت؟**

– لا احلّل الامور هكذا. سأقول لك، مع اني لا

احبّ هذه العبارات النموذجية، ان اللوحة المنتهية ليست جواباً بل سؤال.

*** هل انت فنان – باحث؟**

– لست كذلك باي معنى من المعاني. على المستوى الفني: لا اريد ان احلّ مشكلة الرسم في العالم. وعلى المستوى الوجودي: لا اطرح اسئلة غوغان "من اين نحن آتون؟ ما نحن؟ الى اين نحن ذاهبون؟" تسألني عمّ ابحث حين ارسم؟ ابحث عن نفسي. لا! ثمة قوة حيوية تدفعني. لدّة. ابحث في نفسي.

*** من التجريد الفنائي الى منظرية تجريدية اكثر او اقلّ واقعية، نحس دائماً بانك في مجال محدد، وربما محدود، بشروط اصالته، مهما اتّسع. ومع ان الاصالة حدود انطلاق لا حدود انتهاء، فكم يمكن الا تتعارض مع الخصب الذي يفترضه قولك "ان الفن لا يزال ممكناً"؟**

– انتمي الى جماعة محدّدة من الفنانين: فروع قادمة من جذع واحد. وحالياً احسّ بأن كل شيء "يركب" في عملي. وصلت الى شيء لم يتحقق بعد. سيصير هناك تطوّر. اعيش ذلك واتوقعه. ربما هذا ما يقوله كل الفنانين. لكن اصحابي من جيل الخمسينات يدسّون بلوعة وشوق الى الحماس السابق. يشتغلون ويعرفون انهم لن يتحركوا. في الخمسينات كنا اصغر باربعين سنة! وكان الحماس اكبر، لكنه حماس عضليّ. لذلك لا اشارك اصحابي ذاك الحنين. مع الوقت صارت امكانيات التعبير، بالنسبة اليّ، اوسع فأوسع. حماسة الانتماء الى طليعة التجريد في العالم انتهت مع بداية الستينات. بعدئذ رأيت انه لا علاقة لي بذلك. استطيع ان اقول انّي لا اتبع احداً. تضافرت عناصر كثيرة لتكوّن تجربتي وشخصيتي...

*** لذا تقول انك تبحث في نفسك...**

– يجد المرء نفسه بسرعة. كمثل الباحث عن الآثار: بعد ضربة معول قوية يجد الموقع، ثم يواصل العمل بأدوات خفيفة...

*** اذا عدنا الى علاقتك بالمعاهد الفنية، فهل يجب الاكتفاء بتعليم التقنيات؟**

– تعليم التقنيات يحمّسك على الشغل. لا يحتاج الفنان الى اكثر من ذلك. بل ان ما اعلّمه طيلة سنوات التدريس كنت استطيع ان اقوله في سنة واحدة. لكنني كنت ادرّب الطلاب واعمل امامهم... الحقيقة اني اخاف التنظير...

*** ... مع ان بعض اساتذتك، مثل اندريه لوت، كانوا منظّرين...**

– تعليم الفن كله يمرّ عبر تعليم تقنياته. والذين يؤمنون بغير ذلك ينتهي بهم الامر الى فرض اسلوبهم على الطلاب.

اعتقد ان اهمّ ما حدث في القرن العشرين هو القبول بالتجريد. لست مؤرخ فن كي اعرف الاسباب، لكنني لا اظن انها في النظريات. الثورة الانطباعية اهم من كل الحركات الفنية التي سميت ثورات في ما بعد. هم "شقلبوا" كل شيء... لم يستطع احد حتى الآن ان يفسّر عظمة سيزان، رغم كثرة ما كتب عنه. كيف فرض هذه الرؤيا؟ كيف استطاع ان يكون في اساس كل هذه الثورات الفنية في العالم؟ موندريان ليس شيئاً بلا سيزان...

ملعب القطار الاول، ١٩٩٤، ١١٠ × ١٣٠سم.

*** هذا، بالضبط، دليل على ان سيزان مفهوم عملياً. يكفي ان نرى اثره في نشوء بعض المدارس كالتكعيبية...**

– التكعيبية، قياساً الى سيزان، لا تعدّ ثورة. انها مجرّد تطبيق تزييني الى حدّ ما... والسريالية اسوأ من ذلك: سمّ لي فناناً سريالياً جيداً!

*** اندريه ماسون.**

– فنان جيّد. لا بسرياليته بل بحساسيته الخاصة...

*** لوحات هذا المعرض، هل رسمتها للبنان؟**

– لا! كنت اعمل اساساً لمعرض باريسي في ايلول الماضي. كلمتني السيدة ندين بكداش؛ فأجّلنا المعرض الباريسي الى وقت لاحق هذه السنة... بعد الانتخابات الرئاسية طبعاً!

*** اليس هناك "مرسل اليه" في الفن؟**

– ابداً! ليس هناك مرسل اليه. اعمل لوحة لاعيش. وانا سعيد لاني اعيش من فنّي.